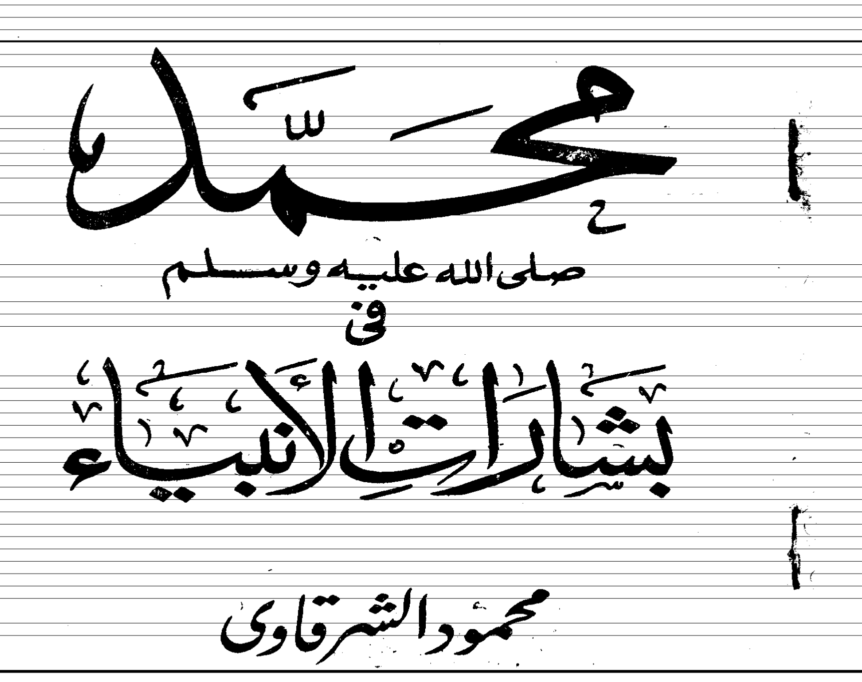

محمد
صلى الله عليه وسلم
فى
بشارات الأنبياء
محمود الشرقاوى

الناشر
مؤسسة دار الشعب
٩٢ ش قصر العينى
القاهرة ت ٣١٨١٠
رئيس مجلس الادارة
احمد ابراهيم حمروش

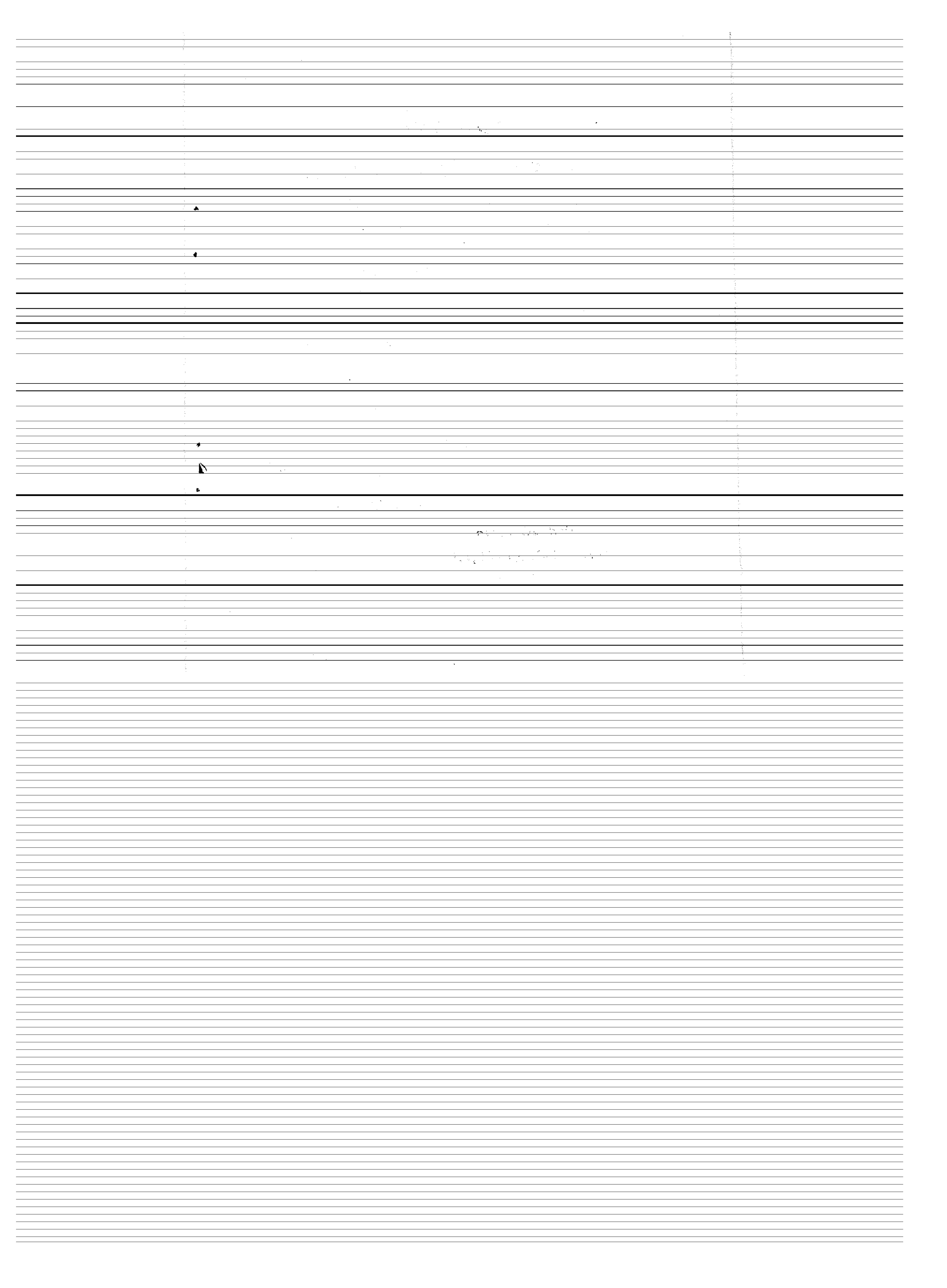
الغلاف بريشة :
محمد حاكم

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُون . الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون . قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » .

صدق الله العظيم

الأعراف من ١٥٦ — ١٥٨



مقدمة

كان العالم المتمدين فى القرنين الخامس والسادس الميلادى ، على شفا السقوط فى هاوية الفوضى ، لأن العقائد التى تعين على اقامة الحضارة كانت قد انهارت ، ولم يك ثمة ما يعتد به مما يقوم مقامها ، وكان يبدو وقتئذ أن المدنية الكبرى التى تكلف جهود أربعة آلاف سنة مشرفة على التفكك والانحلال ، وأن البشرية توشك أن ترجع ثانية الى ما كانت عليه من الهمجية ، اذ القبائل تتحارب وتتناحر ، لا قانون ولا نظام ، وعم الفساد المجتمع الانسانى .

يقول المؤرخ الانجليزى هـ.ج.ويلز : لقد حل الدمار بالامبراطورية الرومانية، وساءت أحوالها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وكانت حضارتها قائمة على أكتاف الفقراء الذين كانوا يعملون لحساب الاغنياء . فكانت فى ظاهرها عظيمة فخمة ، ولكنها كانت فى الباطن مليئة بالقسوة والجهل والجمود .

ويقول سيد أمير على الهندى : قد ساءت الأحوال الاجتماعية والسياسية فى جميع أنحاء الممالك

الخاضعة للمسيحية · فقد حال النظام القائم فى تلك الجهات دون حرية التفكير وحرية الحكم على الأعمال · ولم يتورع أتباع المسيح الخاضعون لسلطانه أن يشوهوا أوجه العصر ، ويجعلوه عصر اضطهاد وازهاق للأرواح وذبح كل ثائر أو خارج على الكنيسة الرسمية ، وكل من تحدثه نفسه بمخالفة الرأى الدينى السائد فى ذلك العصر (١) ·

وكانت الامبراطورية الفارسية فى حروب دائمة داخلية أو خارجية ، وكانت تنافس الامبراطورية الرومانية فى امتلاك آسيا وبسط النفوذ على سكانها، وكثيرا ما كان مقدسو النار يهزمون عبدة المسيح وينهبون أموالهم ويأسرون منهم الاسرى ويحملونهم الى بلادهم ومن بينهم بعض القياصرة · وأحيانا كانت تدور الدائرة على الفرس فيغلبهم الروم ويقتلون منهم ويأسرون ويخربون ديارهم ويضمون أملاكهم الى أملاكهم ·

وفى أوائل القرن السابع الميلادى ، اشتبكت الامبراطوريتان الفارسية والرومانية فى حروب كانت سببا فى ضعفهما معا وضعف فارس بوجه خاص ، وكان ذلك فى عهد كسرى « أبرويز » « ٥٩٠ ــ ٦٣٨ م » ·

---

(١) حامد عبد القادر : الاسلام ، ظهوره وانتشاره فى العالم ص ٨٠ ·

وفى الفترة التالية حدثت بفارس اضطرابات وفتن داخلية وتنافس على العرش عدد من الأكاسرة فكان الواحد منهم يولى ثم يعزل بعد فترة قصيرة ، وبذلك سقطت هيبة الملك ٠ وعمت الفوضى وانتشر الفساد وساءت حالة البلاد الاقتصادية والاجتماعية الى درجة لا تطاق بسبب كثرة الاقطاعيين وظلم الفلاحين وطبقة العمال ووضع الاكاسرة نفسهم موضع الاله ٠

أما فى الهند فقد انتشر مذهب اباحة النساء بواسطة دعاة أقوياء ، وقد بلغ من الفحش أن الكاهن الهندى كان يحظى بالعروس فى جلوتها الاولى لينشر عليها وعلى زوجها البركة والنعمة ، وكانت الاناشيد تنوه بالمنكرات والقبائح تلقى فى الاحتفالات العامة فتمد مستمعيها من الغواية بأسباب وتفتح لهم من الآثام كل الأبواب ٠ لم تكن الحالة فى بلاد العرب بأقل من ذلك اضطرابا فى الجوانب السياسية والاجتماعية فقد أدى اختلاف القبائل وتعدد المذاهب الى تفكك القومية وذهاب الوحدة العربية ٠ فكانت أطراف الجزيرة العربية لقمة سائغة فى أفواه المغيرين من الاجانب ، فقوى نفوذ الاكاسرة فى الحيرة وما حولها وظهر سلطان الروم فى الشام وبلاد الغساسنة ودخل الاحباش ثم الفرس بلاد اليمن ٠ وكان هؤلاء الاجانب يستعدون

أنصارهم من العرب على أعدائهم ومن يناصرهم من العرب ، فكان العربى يعادى أخاه العربى ويقاتله ويريق دمه لا لسبب سوى الانتصار للأجانب ٠

وقد ظلت بلاد اليمن محلا للنزاع ومسرحا للقتال قرونا متعددة وكانت الحروب تقع لاسباب دينية وغير دينية بين يهود خيبر ونصارى الاحباش ومجوس فارس على ما هو معروف ٠

وقد جاء الاسلام وهذه البلاد ولاية فارسية يحكمها المرازبة من قبل الاكاسرةوقد دخلها الاسلام فى عهد المرزبان باذان الذى جعله كسرى أبرويز واليا عليها سنة ٦٠٦ م وكان المرزبان نفسه ممن دخلوا فى دين الله ٠ وكان نظام حياتهم الاجتماعية قائما على الظلم ، ظلم القوى للضعيف ، وتحكم القادر فى العاجز،وكان اعتمادهم على القوة وحدها فكانت الاغارة والسلب والنهب والاخذ بالثأر وحب الانتقام هى العلاقة التى تربط بين القبائل بعضها وبعض حتى صارت الحرب نظامها المألوف وحياتهم المعتادة ٠

ولم يكن لهم نظام جامع ، ولا حكومة موحدة ، بل كانوا قبائل متفرقة كل قبيلة تؤلف وحدة قائمة بذاتها مستقلة فى نظامها وتقاليدها وأحكامها ٠

وفى وسط هذا الظلام الدامس الذى لف الانسانية فى طياته : ولد محمد صلى الله عليه وسلم الذى أخرج الناس من الظلمات الى النور ، وهداهم الى الحق والى الطريق المستقيم • وكانت رسالته من بين الرسالات أشملها لنواحى الحياة ، وأرعاها لمصالح البشر على اختلاف أجناسهم وأممهم وأحوالهم ، وأدقها توازنا بين المادية والروحية والفردية والاجتماعية ، وأجمعها للعناصر الخالدة فى الحياة ، وللدوافع النفسية والضوابط الاجتماعية، وأفسحها مجالا لاعمال الرأى وارتقاء العقل ، حرر الاسلام الانسان فى تفكيره ووجدانه وأصبح وهو لا يشعر بقوة توجهه الا لخالقه ، وفى سبيل ذلك فتح بين يديه كتاب الكون ليرى من خلاله جلال خالقه وعظمته وكبرياءه وقدرته ، كما يرى سابغ فضله على عباده،وجميل احسانه اليهم، ومن ثم يدين له بالفضل ، ويقر له بالعبودية دون اكراه أو اعنات ، ويعلن ذلك صراحة فيقول :

« لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى »

ان دعوة الاسلام فى جوهرها دعوة الى الحرية فى أسمى صورها • قال تعالى :

« قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد الا الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا

يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون » •

لقد ربى الاسلام أتباعه على الشعور بالعـــزة والسيادة ، واقتلع من نفوسهم الاحساس بالحاجة الى غيره فيما ينفع أو يضر :

قال الله تعالى :

« وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو ، وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير » •

ومن هنا أصبح الانسان المسلم حرا من كـــل قيد يعوق انطلاقه بعد أن تخلص من العبودية لغير الله تعالى ، وكان عليه أن يضرب فى الارض •

« هو الذى جعل لكم الارض ذلولا ، فامشـــوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ، واليه النشور » •

وفى اطار هذه الحرية القائمـة على الايمـان بالله ، واتباع ما جاء به رسـول الله ، قام بنيـــان المجتمع الاسلامى الاول على المساواة والتعاطف ، والتعاون على البر والتقوى والوفاء والعدل •

قال الله تعالى :

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبـــل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخـر ، والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المـــال على حبه

ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعدهم اذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا ، وأولئك هم المتقون » ٠

كما قرر مبدأ الحرية السياسية ، ونظمها تنظيما دقيقا ، قال تعالى : «وأمرهم شورى بينهم» وقال « وشاوروهم فى الامر » ٠

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما : « لو اجتمعتما على أمر ما خالفتكما » ٠

من أجل ذلك أعطى لحرية الكلمة قداستها لتتضح الامور ، وتتبدد الحيرة فتنطلق الامة الى غايتها ، لا يعوقها قلق نفسى ولا كبت وجدانى ، ولا ظلم اجتماعى ، ولا استبداد سياسى ٠

وهذا الكتاب يتحدث عن البشارات بالرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وسلم ، والارهاصات التى ذاعت قبل مولده وبعثه ٠

والسبب الذى دفعنى الى كتابة هذا الكتاب أن الكثير من المثقفين من المهتمين بالدراسات الاسلامية يميلون الى الأخذ برأى المستشرفين القائل بأن اغلب

البشارات قد وضعها المؤرخون المسلمون بعـــد انقضاء زمن الرسالة ، وانتشار الاســـلام تأكيدا لدينهم ، ولايهام المسلمين أن البشرية كانت تنتظر مبعث رسول كريم ٠

قد يكون لهذا الرأى وجاهتـــه لو أن البشارات عن محمد الرسول الاعظم قد اقتصرت على روايات الاخبار بين المسلمين والمؤرخين المتحمسين لدينهم ، ولكن التوراة والانجيل فاضت بالبشـــارات بالنبى الامى الذى سيبعث من الامم لا من بنى اسرائيل ٠ والقرآن الكريم يؤكد أن أهل الـــكتاب كـــانوا يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم كمـــا يعرفون أبنـــاءهم ٠

قال الله تعـــالى :

« ورحمتى وسعت كـــل شىء ، فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة ، والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجـــدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيـــل ، يأمـــرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبـــائث ، ويضع عنهـــم اصرهم ، والأغـــلال التى كانت عليهم ، فالذين آمنـــوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معـــه أولئك هم المفلحون » ٠

ولو أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد ادعى هذه الدعوة ولم يكن لها سند فى التوراة أو الانجيل لما اعتنق يهودى أو نصرانى الاسلام ، ولكننا نجد كثيرا من اليهود ومن النصارى قد دخلوا فى دين الله أفواجا لما أضاء نور الهداية صدورهم .

والدليل على أن بعض آيات الكتاب المقدس تبشر به نسوق ما قاله المؤرخ الامريكى « ولديورانت » فى كتابه « قصة الحضارة » . وول ديورانت مؤرخ مسيحى معاصر هاجم اليهود والمسيحية فى كتابه . فهو لا يؤمن بالاديان،ولكنه قال فى الجزء الثانى من المجلد الرابع عصر الايمان عندما كان يتكلم عن محمد صلى الله عليه وسلم فى مكة فى الفترة ما بين ٥٦٩ ـ ٦٢٢ م .

« لقد كان محمد من أسرة كريمة ممتازة ، ولكنه لم يرث منها الا ثروة متواضعة ، فقد ترك له عبد الله خمسة من الابل ، وقطيعا من المعز ، وبيتا وأمة عنيت بتربيته فى طفولته ، ولفظ « محمد » مشتق من الحمد وهو مبالغة فيه كأنه حمد مرة بعد مرة ، ويمكن أن تنطبق عليه بعض فقرات فى التوراة تبشر به » . ولو كان الاخباريون المسلمون هم الذين وضعوا البشارات والارهاصات فى أخبارهم وتاريخهم فمن الذى جعل « زرادشت »

يوصى قومه بأن يستمسكوا بما جاءهم بـه الى أن
يأتيهم صاحب الجمل الأحمر من بلاد العرب ؟

أنكر الكتاب هذه البشارات والارهاصات التى تتعلق بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحتى أحلام الآباء والامهات رفضوها رفضا باتا ، ولعل ذلك الرفض مرده خشيتهم من « فرويد » الـذى يأمل أن يعترف بالرؤيا الصادقة ، ويرد كـل الاحلام الى الغريزة الجنسية ، كأنما قد استحالت نظرية فرويد التى تؤكد أن الحياة كلهـا جنس ومنبثقة من خـلال الجنس ، الى دين يطـرد من حظيرة الايمان كل من يمس قداستها !!

كان هم فرويد تلويث الدين والاخلاق فقال : ان التسامى نوع من الشذوذ (١) وان الاخلاق تتسم بطابع القسوة حتى فى درجتهـا الطبيعية العادية ، وأن الأساطير المسيحية تصور فى حقيقتها رغبة الابن « المسيح » فى قتل والده «الرب الاله» وان كان قد كبت هذه الرغبة فقتل نفسه بدلا من أبيه ، ولكن أصبح الها مكان أبيه !

وان الحضارة تتعارض مع النمو الحر للطاقة الجنسية ! وأن الدين والاخلاق والحضارة تنشـأ

(1) Three contributions to the Sexual theory.

من الكبت الجنسى ، والكبت الجنسى خطـــر على الكيان النفسى والعصبى لانه يصيب النفس بالعقد والاضطرابات ..

كان فرويد فى خدمة صهيون ، وقــد جاء فى كتاب « بروتوكولات حكماء صهيون » « ويجب أن نعمل لتنهار الأخلاق فى كل مكان فتسهل سيطرتنا ..ان فرويد منا وسيظل يعرض العلاقات الجنسية فى ضوء الشمس لكى لايبقى فى نظر الشباب شىء مقدس ، ويصبح همه الاكبـــر هـــو ارواء غرائزه الجنسية ، وعندئذ تنهار أخلاقه » ان الانســـان ليس حيوانا تحركه غرائزه ، كما أنه ليس معدة تمشى على الارض كما يقول الماديون .

ان القرآن الكريم يؤكدوقوع الرؤيا الصادقة، وسورة يوسف كلها تأكيد للرؤيا وتأويل الاحاديث، وواقع الناس جميعا يؤكد هذه الحقيقة على الرغم من محاولة فرويد فى كل نظريته انكار ذلـــك الجانب فى البشر .

وانى أرجو أن أكون قــد وفقت الى ما قصــدت اليه ، والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق .

محمود على الشرقاوى

« تمسكوا بما جئتكم به الى
أن ياتيكم صاحب الجمل
الأحمر من بلاد العرب » .

زرادشت

بشارات من الـكتب القديمة

قام زرادشت نبى الايرانيين يدعو الناس الى عبـادة الله وحده « أهور امزدا » اله النور ، وفرض على الناس خمس صلوات ، والتقوى والصـدقة ، وحرم الربا ، وقال : ان الكفر رأس الخطايا كلها،وحرم عبادة الأصنام والأوثان ، واقامة الهياكل ، ووعـد المؤمنين بجنـات عرضها السـموات والأرض أعدت للمتقين • وقـال بالوعيد وأن جهنم مثوى للكافرين •

وقد يعجب بعض القراء من قولنـا ان زرادشت نبى كريم • ولهم عذرهم فقـد كان بعض كتـاب الدراسات الاسلامية يعتقدون واهمين أن الله تعـالى خص الشعوب السامية بالرسالة والنبوة ، وهذا الزعم يدحضه القرآن الـكريم •

يقول الله تعالى :

« ان من أمة الا خلا فيها نذير » ••

«ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين »•

وبناء على ما يقرره القرآن الكريم فليس هنـاك من سبب يحول بين أن يصطفى الله تعالى زرادشت لرسالته ، فالله يصطفى من يشاء من الملائكة ومن الناس لرسالته •

ألف « مولانا عبد الحق قدرياتى » كتابا أسماه «محمد فى الاسفار الدينية العالمية » واستفاد فى مقـــارناته ومناقضاته بمعرفته للفارســـية والهنـــدية والعبرية والعربية وبعض اللغات الأوربية ، ولم يقنع فيه بكتب التوراة والانجيل بل عمم البحث فى كتب فارس والهند وبابل القديمة ٠ وكانت له فى أقواله توفيقات تضـــارع أقوى ما ورد من نظائرها فى شواهد المتدينين كافة ٠ ولا نذكر أننا اطلعنا على شــاهد أقوى منهـــا فى روايات الأقدمين أو المحدثين من أتباع الديانات الاولى أو الديانات الكتابية (١) ٠

يقول الأستاذ عبد الحق ان اسم الرســول العـــربى « أحمد » مكتوب بلفظه العربى فى « الســـاما فيـــدا » «Soeshyant» من كتب البراهمة ٠

وقد ورد فى الفقرة السادسة والفقرة الثامنـــة من الجزء الثانى ونصها :

ان أحمد تلقى الشريعة من ربه وهى مملوءة بالحكمة وقد قبست منه النور كما يقبس من الشمس ٠

ويزيد الاستاذ عبد الحق على ذلك أن وصف الـكعبة المعظمة ثابت فى كتـــاب «الآثار فافيدا » حيث يسميها الكتاب بيت الملائكة ويذكر من أوصافه أنه ذو جوانب ثمانية وذو أبواب تسعة ٠

---

(١) عباس محمود العقاد : مطلع النور ص ١٤ ٠

والمؤلف يفسر الأبواب التسعة بالابواب المؤدية الى الكعبة وهى :

باب ابراهيم ، وباب الوداع ، وباب الصفا ، وباب على ، وباب عباس ، وباب النبى ، وباب السلام ، وباب الزيارة ، وباب حرم .

وفى مواضع كثيرة من الكتب البرهمية يرى المؤلف أن النبى محمدا صلى الله عليه وسلم مذكور بوصفه الذى يعنى الحمد الكثير والسمعة البعيدة ، ومن أسمائه الوصفية اسم « سشرافا » «Sushrava» الذى ورد فى كتاب«الآثار فافيدا» حيث يشار الىحرب أهل مكةوهزيمة « العشرين والستين ألفا مع تسعة وتسعين » وهم على تقدير المؤلف عدة أهل مكة وزعماء القبائل الكبار ووكلاؤهم الصغار كما كانوا يوم قاتلوا النبى صلى الله عليه وسلم .

وكذلك صنع بكتب زرادشت التى اشتهرت باسم الكتب المجوسية فاستخرج من كتاب « زندافستا » «Zend Avesta» نبوءة عن رسول يوصف بأنه رحمة للعالمين « سوشيانت » «Soeshyant» ويتصدى له عدو يسمى بالفارسية القديمة « أبا لهب » «Angra Mainyu» ويدعو الى اله واحد لم يكن له كفوا أحد .

« هيج جيز باونمار » وليس له أول ولا آخر ولا ضريع ولا قريع ولا صاحب ولا أب ولا أم ولا صاحبة ولا

ولد ولا ابن ولا مسكن ولا جسد ولا شــكل ولا لون ولا رائحــة .

جز آخاز وانجام وابناز ودشمن وماتند وبار وبدر ومادر وزن وفرزند وحامى سوى وثن آسا وتنانى ورنك وبوى است » .

وهذه هى جملة الصفات التى يوصف بها الله سبحانه وتعالى فى الاسلام :

أحد صمد ، ليس كمثله شىء ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ، ولم يتخذ صاحبة ولا ولدا .

ويشفع ذلك بمقتبسات كثيرة من كتب الزردشتية ، تنبىء عن دعوة الحق التى يجىء بها النبى الموعود وفيها اشارة الى البادية العربية ، ويترجم نبذة منها الى اللغة الانجليزية معناها بغير تصرف :

« ان أمة زرادشت حين ينبذون دينهــم يتضعضعون وينهض رجل فى بلاد العرب يهزم أتباع فارس ،ويخضع الفرس المتكبرين ، وبعد عبادة النار فى هياكلهم يولون وجوههم نحو كعبة ابراهيم التى تطهرت من الاصــنام ، ويومئذ يصبحون وهم أتباع للنبى رحمة للعالمين وسادة لفارس ومديان وطوس وبلخ ، وهى الأماكن المقدسـة للزردشتيين ومن جاورهم ، وأن نبيهم ليــكونن فصــيحا

يتحد بالمعجزات (١) » • يروى التاريخ أن قورش حاكم فارس آمن بالدين الجديد ، وسرت النفحة الروحية فى صدور فلاحى ايران البسطاء فاذا بها تحيلهم الى محاربين شجعان يجودون بأنفسهم فى سبيل الله واعلاء كلمته •

واستطاع قورش بجيش المؤمنين أن يقضى على مملكة بابل ، ويستولى على سورية ومصر •

وطال على الايرانيين الامد وقست قلوبهم فانتهز المجوس « الكهنة » فرصة انكباب الناس على الدنيا واقبالهم على الشهوات ليعيدوا سلطانهم باحياء أساطير الأولين • وقالوا ان النار ابن أهورا مزدا اله النور وأطلقوا عليه « آثار » ولما كانت الشمس نار السموات الخالدة فقد شرع المجوس عبادتها وقالوا انها أقصى ما يتمثل فيها أهو رامزدا •

وبدأت الشعلة الروحية التى أوقدها زرادشت تخبو فى صدور الفرس ، وتغشى بين سواد الشعب الفساد • وبدا أن فار بدأت تنتحر من الداخل وأن الله تعالى سيذهب هؤلاء القوم ليأتى بأقوام آخرين يحملون الشعلة الروحية الى حين ، ويدفعون ركب الحضارة خطوات على الطريق •

اجتاز الاسكندر الاكبر مضيق الدردنيل دون أن يلقى مقاومة ، وحاول الجيش الفارسى أن يصد جيش

(١) صفحة ٤٧ من كتاب Mohammed in World Scriptures.

الاسكندر عند نهر غرانيقوس ولكن تلك المحاولة انتهت بانكسار الجيش الذى نخر فيه سوس الفساد • واتجـه الاسكندر جنوبا وشرقا يخضع بعض البلدان وعاد والتقى جيش الاسكندرية وجيش دارا الثالث عند أسـوس ، وانتصر الاسـكندر انتصارا باهرا ، وفر دارا من الميدان •

وراح دارا يجمع فلول جيشه ويغرى الجنود المرتزقة بالمال أن تحارب معه ، والتقى الجمعان عند كواكمبـلا واستطاع الاسـكندر أن يقضى على جيش دارا فى يوم واحد وأن يطعن دولة فارس الاخمينيين الطعنة الاخيرة •

وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » •

وانتعشت مرة أخرى ديانة زرادشت فى فارس فقامت على أكتافها دولة الساسـانيين التى راحت تناوىء الرومان ، وقامت بين فارس وروما حروب •

واستمر ركب التاريخ فى سيره ، تقـوم الدول بانتفاضات روحية وتموت الدول بالاغراق فى المادية والترف والفساد والظلم • تلك سنة الله فى خلقـه ولن تجد لسنة الله تبديلا •

فتح المسـلمون فارس •• وصدقت نبـوءة زرادشت •

« جـاء الرب من سـيناء ،
وأشرف لهم من سعير وتلألأ من
جبـل فاران وأتى من ربوات
القـدس ومن يمينه نار شريعة
لهـم » .
« التثنية ٣٣ : ٣ »

بشارات من التـــــوراة

« جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتي من ربوات القدس ومن يمينه نارشريعة لهـم » (التثنية ٣٣ : ٣) ٠

وجاء بالنص العبرى ما يلى :

« ويومر يهووه سينائى به وزارح مسعير لامو هو فبع مهر باران وأنامر ببوث قورش ميميفو ايش داث لامو »٠

وترجمة النص هي كما يلى :

« وقال ان الرب جاء من سيناء ونهض من سعير لهـم وسطع من جبـــل فاران وجاء مع عشرة آلاف قديس ، وخرج من يمينه نار شريعة لهم » ٠

والشواهد القديمة جميعا تنبيء عن وجود فاران فى مكة ، وقد قال المؤرخ جيروم واللاهوتي يوسبيوس « ان فاران بلد عندبلاد العرب علىمسيرة ثلاثة أيام الى الشرق من ايلة » ٠٠

وسيناء نسبة الى نبى الله موسى عليهالصلاة والسلام، وسعير هى الارض المباركة التى ولد فيهـا السيد المسيح عليه الصلاة والسلام ، وفاران هى بلاد الحجـــاز التى

هاجر اليها ابراهيم عليه الصلاة والسلام وولد فيها النبي صلى الله عليه وسلم • وذلك مصداقا لقوله جل شأنه :

« والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين » •

فالتين والزيتون بلاد الشام نسبة الى عيسى عليه السلام ، وطور سينين هو طور سيناء الذى ناجى عليه موسى ربه ، ومكة هى البلد الأمين الذى من دخله كان آمنا وهو الذى أرسل فيه محمدا صلى الله عليه وسلم •

وورد في ترجمة التوراة السامرية التى صدرت فى سنة ١٨٥١ ، ان اسماعيل سكن برية فاران بالحجاز ، وأخذت له أمه امرأة من أرض مصر » •

ويفرق سفر العدد من العهد القديم بين سيناء ، وفاران اذ جاء فيه أن بنى اسرائيل ارتحلوا « من برية سيناء ، فحلت السحابة فى برية فاران » •

ولم يكن أبناء اسماعيل قط فى غرب سيناء فيقال ان جبل فاران ، واقع الى غربها •

وفى الاصحاح الثالث من سفر حبقوق أن : « الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران » • فهو اذن الى الجنوب حيث تقع تيمان بموضعها الذى تقع فيه اليمن ومرادفتها بالعربية ، ولم يحدث قط أن نبيا سار بقيادته

عشرة آلاف قديش غير النبى محمد صلى الله عليه وسلم ٠
وقوريش تترجم بقديس ٠

« يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلى ، له تسمعون » ٠

(التثنية ١٨ : ١٥)

هذه البشارة صريحة فى محمد صلى الله عليه وسلم ، لانه لم يقم نبى مثل موسى عليه السلام فى وسط اليهود، ومن اخوتهم بنى اسماعيل غير النبى العربى محمد، وأبناء العم يسمون أخوة ، ومن ذلك تسمية أبناء عمهم «عيسو» اخوة لهم كما فى الاصحاح الثانى ٤ ، ٨ من سفر التثنية ٠

ولو كان المراد من هذه البشارة المسيح عليه السلام لقال :

« أقيمه منكم أو من نسلكم، لامن اخوتكم : لأن يسوع المسيح ابن داودبن ابراهيم كما فى انجيل متى «الاصحاح» ١١ : ١ ــ ١٦ » فهو من نسل اسحق لا من نسل اسماعيل عليهم الصلاة والسلام ٠

جاء فى سفر دانيال أن نبوخذ نصر ملك بابل ، رأى فى منامه رؤيا أزعجته ، فاستدعى الحكماء والكهان لتأويل رؤياه فعجزوا ، فجاء دانيال النبى وقال له ــ كما فى سفر دانيال ٢ : ٣١ ــ ٣٥ :

كنت تنظر واذا بتمثال عظيم · هـذا التمثال المبهى جداً وقف قبالتك ومنظره هائل · رأس هـذا التمثال من ذهب جيد · صدره وذراعاه من فضة · بطنه وفخذاه من نحاس · ساقاه من حديد · قدماه بعضها من حـديد والبعض من خزف · كنت تنظر الى أن قطع حجر بغـير يدين فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقها · فانسحق حينئـذ الحديد والخزف والنحـاس والفضة والذهب معا وصار كعصافة البيدر فى الصيف فحملتها الريح فلم يوجد لهـا مكان · أما الحجـر الذى ضرب التمثال فصار جبلا كبيرا وملأ الأرض كلها ·

فقال الملك :

ـ صدقت فمـا تأويلها ؟

فقال دانيـال :

ـ أنت أيها الملك ملك ملوك لأن اله السموات أعطاك مملكة واقتدارا وسلطانا وفخرا · وحيثما يسكن بنـو البشر ووحوش البر وطيور السماء دفعها ليدك وسلطك عليها جميعا · فأنت هذا الرأس من ذهب· وبعدك تقوم مملكة أخرى أصغر منك ومملكة ثالثة أخـرى من نحاس فتتسلط على كل الارض · وتكون مملكة رابعـة صلبة كالحديد لأن الحديد يدق ويسحق كـل شيء وكالحـديد الذى يكسر تسحق وتكسر كل هـؤلاء · وبمـا رأيت القدمين والأصابع بعضها من خزف والبعض من حـديد

فالمملكة تكون منقسمة ويكون فيها قوة الحديد من حيث أنك رأيت الحديد مختلطا بخزف الطين ٠ وأصابع القدمين بعضها من حديد والبعض من خزف ٠ فبعض المملكة يكون قويا والبعض الآخر قصيما ٠ ربما رأيت الحديد مختلطا بخزف الطين فانهم يختلطون بنسل الناس ولكن لايتلاصق هذا بذاك كما أن الحديد لا يختلط بالخزف ٠ وفى أيام هؤلاء الملوك يقيم اله السموات مملكة لن تنقرض أبدا وملكها لا يترك لشعب آخر وتسحق وتفنى كل هذه الممالك وهى تثبت الى الأبد لأنك رأيت أنه قد قطع حجرا من جبل لابيدين فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة ٠ الله العظيم قد عرف الملك ما سيأتى بعد هذا ٠ الحلم حق وتعبيره يقين» ٠

وقد تحقق هذا خلال التاريخ كما يلى :

- **فى سنة ٧٠١ ق٠م مملكة بابل ٠ويرمز اليها بالرأس من الذهب فى عهد نبو خذنصر ٠**
- **سنة ٦١٢ ق٠م مملكة الكلدانيين فى عهد ميداس ٠ ويرمز لها بالفضة ٠**
- **سنة ٣٣٦ ق٠م الامبراطورية اليونانية فى عهد الاسكندر المقدونى ويرمز لها بالنحاس ٠**
- **سنة ٥٣ ق٠م الامبراطورية الرومانية فى عهدبومباى ويرمز لها بالحديد ٠**

● **سنة ٦١٢ م الامبراطورية البيزنطية فى الغـــرب والامبراطورية الفارسية فى الشرق ٠**

● **سنة ٦٣٧ م ٠ الاسلام ٠**

وكتب الرسول الأعظم الى الملوك يدعوهم الى الاسلام ٠ والفتح العربى دفاعا عن هجوم أعداء الاسلام، وتقويض الامبراطورية البيزنطيـــة فى الغـــرب والامبراطورية الفارسية فى الشرق ٠ وبسط الاسلام لواءه فى ربوع الارض من مشرقها الى مغربها ٠

« ويرفع راية للأمم من بعيد ويصفر لهـم من أقصى الأرض فاذا هم بالعجلة يأتون ٠ ليس فيهـــم رازح ولا عاثر ، لا ينعسون ولا ينامون ، ولا تنحل حزم أحقاقهم ولا تنقطع سيور أحذيتهم ٠ سهامهم مسنونة وجميـــــع قسيهم محدودة ٠ حوافر خيلهم كأنها الصوان وبكراتهم كالزوبعة « أشعيا : ٥ » ٠

وهذه نبوءة عن رسول يأتى من غير أرض فلسطين ، لم تصدق على أحد غير محمد صلى الله عليه وسلم ٠

قال الرب لى بشدة وأنذرنى ألا أســـألك فى طريق هذا الشعب قائلا :

لا تقولوا فتنة لكل ما يقول هذا الشعب فتنـــــة ولا تخافوا خـــوفه ولا ترهبوا ٠ قدسوا رب الجنود فهــــو خوفكم وهو رهبتكم، ويكون مقدسا وحجر صدمة وصخرة

عشرة لبنى اسرائيل وفخا وشركا لسكان أورشليم فيعثر بها كثيرون ويسقطون فينكسرون ويعلقون • فيلقطون • صر الشهادة • اختم الشهادة بتلاميذى • فاصطبر للرب الساتر وجهه عن بيت يعقوب وانتظره » •

وهذه النبوءة عن الرسول الذى يختم الشريعة ، تصدق على الرسول صلى الله عليه وسلم ولا تصدق على رسول جاء قبله ولا بعده •

« وفى ذلك اليوم يكون مذبح للرب فى وسط أرض مصر وعمود للرب عند تخمها ، فيكون علامة وشهادة لرب الجنود فى أرض مصر لانهم يصرخون الى الرب بسبب المضايقين ، فيرسل لهم مخلصا ومحاميا وينقذهم ، فيعرف الرب فى مصر ، ويعرف المصريون الرب فى ذلك اليوم فيقدمون ذبيحة وتقدمة وينذرون للرب نذرا ويوفون به ويضرب الرب مصر ضربا فشافيا ، فيرجعون الى الرب فيستجيبون لهم ويشفيهم ، فى ذلك اليوم تكون سكة مصر الى آشور فيجيء الآشوريون الى مصر والمصريون الى آشور ويعبد المصريون مع الآشوريين ، فى ذلك اليوم يكون اسرائيل ثلثا لمصر ولآشور بركة فى الارض • بها يبارك رب الجنود قائلا : مبارك شعبى مصر وعمل يدى آشور وميراثى اسرائيل » •

يؤكد التاريخ أن قدوم أهل العراق الى مصر وذهاب أهل مصر الى العراق قد حدث فى ظل الدعوة الاسلامية،

ولم تتوحد العبادة بينهم قبل تلك الدعوة وأن النبـــوة التى ستتم غدا على غير ما يهواه بنو اسرائيل ، اذ تكون البركة لمصر وآشور ولا تكون اسرائيل الا لاحقة بكلتـا الامتين .

« وحى من جهة بلاد العـــرب ، فى الوعر فى بـلاد العرب . تبقين يا قوافل الدرانيين . هاتوا ماء لملاقاة العطشان يا سكان أرض تيماء ، وافوا الهارب بخبزه ، فانهم من أمام السيوف قد هـــربوا ، من أمـام السيف المسلول ومن أمام القوس المشدود ومن أمام شدة الحرب» (اشعيا ٢١ ‎:‏ ١٣ ـ ١٥) .

وكلمة « بلاد العرب » فيها الدليل الكافى . ثم الاشارة الى « من هرب » أى هاجر تزيد فى ايضـاح من تقصده هذه البشارة ، وليس فى تاريخ الوجود ذكـر الا لهرب واحد وهجرة واحدة ، كان يومها مشهودا ، كسبت شهرة عالية ، هى هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكـة الى المدينة . ومنذ هذه الهجرة يبدأ التاريخ الاسـلامى ـ لأنها فى واقع الامر كانت بداية عهد جديد ، لافى تاريخ الاسلام فحسب ، بل فى تاريخ مدنية العالم كله .

وثمة شهادة صريحة تقول انه هرب « هاجـر » أمام السيف المسلول . فالتاريخ الثابت الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم هاجرمن مكة عندما كانت داره محوطـة

بأعدائه المتعطشين الى سفك دمه ، مسلولة سيوفهم ، يتربصون به حتى يخرج للانقضاض عليه دفعة واحدة ٠

وتحاول عبثا أن تقلب صفحات التاريخ لتجد هربا آخر « هجرة أخرى » انتهت بمثل ما انتهت به هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من الأثر العميق البعيد المدى ، أو تجد نبيا آخر نجا بحياته من السيف المسلول!

وهذان الحدثان التاريخيان الصحيحان ، مضافا اليهما تحديد ذكر بلاد العرب عينها موضعا لمولد النبى الكريم ـ دليل لاسبيل الى مناقشته ، على أن البشارة تقصد النبى محمدا صلى الله عليه وسلم ٠

« هو ذا عبدى الذى أعضده مختارى ، الذى سرت به نفسى ، وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم ، لايصيح ولا يرفع ولا يسمع فى الشارع صوته ٠ قصبة مرضوضة لايقصف وفتيلة خامدة لا يطفىء ٠ الى الامان يخرج الحق ٠ لايكل ولا ينكسر حتى يصنع الحق فى الارض وتنتظر الجزائر شريعته ٠ هكذا يقول الله الرب خالق السموات وناشرها باسط الأرض ونتائجها معطى الشعب عليها نسمة والساكنين فيها ردحا ٠ أنا الرب قد دعوتك بالبر فأمسك بيدك وأحفظك واجعلك عهدا للشعب ونورا للأمم ، لتفتح عيون العمى ، لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين فى الظلمة » (أشعيا ٤٢ ٠ ١ ـ ٧) ٠

كل هذه الصفات تنطبق على الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهو صاحب الشريعة الكاملة،وعلى يديه تم الدين وكملت النعمة ، وحارب الاعداء ، وخلص النـاس من أسر عبادة الأصـنام ، وأخرجهم من الظلمات الى النور ، ومن الجهل الى العلم ، ومن التنازع والتنـافر الى الحب فى الله ، والأخوة فى دينه •

روى البخارى عن عطاء بن يسار قال :

لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقلت : أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة •

قال : أجل والله انه لموصوف فى التوراة ببعض صفاته فى القرآن :

« يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا » وحرزا للأميين • أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولاصخاب فى الاسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويغفرلى يقبضه الله تعالى حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا : لا اله الا الله ، ويفتح به أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا » •

«قومى استنيرى ، لأنه قد جاء نورك ومجد الرب أشرق عليك ، لأنه هاهى الظلمة تغطى الارض والظلام الدامس الامم • أما عليك فيشرق الرب ، ومجده عليك يرى ، فتسير الامـم فى نورك ، والمـلوك فى ضياء

اشراقك ، ارفعي عينيك حواليك، وانظرى، قد اجتمعوا كلهم ، جاءوا اليك يأتي بنوك من بعيد ، وتحمل نباتك على الأيدى ، حينئذ تنظرين وتنيرين ، ويخفق قلبك ويتسع ، لأنه تتحول اليك ثروة البحر، ويأتي اليك غنى الأمم ، تغطيك كثرة الجمال بكران مديان وعيفة كلها تأتي من شبا تحمل ذهبا ولبانا • وتبشر بتسابيح الرب • كل غنم قيدارا تجتمع اليك ، كباش بنايوت تخدمك ، تصعد مقبولة على مذبحي وأزين بيت جمالى » (أشعيا ٦٠ ، ١ ـ ٧) •

« **غنوا للرب أغنية جديدة تسبيحة من أقصى الارض، أيها المنحدرون في البحر وملؤه والجزائر وسكانها • لترفع البرية ومدنها صوتها • الديار التى سكنها قيدار (١) ، لتترنم سالع (٢) ، من رءوس الجبال ليهتفوا ليعطوا الرب مجدا ، ويخبروا بتسبيحة فى** الجزائر ، الرب كالجبار يخرج كرجل حروب ينهض غيرته ، يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه » اشعيا ٤٢ : ١٠ ـ ١٢) •

تروى هذه النبوءة : نسب الرسول الأعظم من بنايوت ابن اسماعيل بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام ، وهذه السلسلة النبوية الشريفة يدونها موسى عليه السلام هكذا :

---

(١) قيدار : هو ابن اسماعيل عليه السلام جد النبى صلى الله عليه وسلم •
(٢) سلع : جبل بالمدينة المنورة . وسليع بالتصغير جبيل بالمدينة يقال له غبغب •

«وهذه أسماء بنى اسماعيل بأسمائهم حسب مواليدهم: بنايوت بكر اسماعيل • وقيدار •• اثنى عشر رئيسا حسب قبائلهم » (تكوين ٢٥ : ١٣) •

وتشير الرموز الخاصة ، مثل « كثرة الجمال » ويأتى اليك غنم الأمم » و « غنم قيدار « و « كباش بنايوت » و « تصعد مقبولة على مذبحى » الى يوم النحـر بمنى ، وجبل عرفات بمكة •

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم مربيا ومعلما ، وقائدا حربيا ، وغيورا وقويا جبارا على أعدائه في الحرب • وقد انتصر على أعداء الحياة الطاهرة النقية التى كان يدعو اليها وارتفعت رايات الحق الذى جاء به من عند ربه العلى القدير فى كل مكان •

« الله جاء من تيمان ، والقدوس من جبـال فاران ، سلاه، جلاله غطى السموات، والارض امتلأت من تسبيحه وكان لمعان كالنور ، له من يده شعاع ، وهناك استثار قدرته » (حبقوق ٣ : ٣ـ٤) •

فتيمان بلاد العرب ، ومعنى كلمة «تيمان» الصحراء الجنوبية ، لأنها جنوب بلاد الشـام ، ولا يزال الى الآن على طريق القوافل بين دمشق ومكة قرية تسمى « تيماء » ومعنى هذه الكلمة أيضا الصحراء الجنوبية ، وتيمـاء أيضا اسم قبيلة اسماعيلية تسلسلت من تيماء • وكانت تقطن بلاد العرب كما فى قاموس الكتاب المقدس •

أما جبل فاران فهو فى البرية التى سكنها اسماعيل أبو العرب ، فكان حبقوق أشار بعبارته هذه الى مسكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو بلاد العرب أو « التيمان »والى مسكن أصله ، أو جده اسماعيل عليه السلام ٠ وهو برية فاران ٠

« طوبى لأناس عزهم بك ، طرق بيتك فى قلوبهم ، عابرين فى وادى البكاء » (المزمور ٨٤ : ٥ـ٦) والاصل العبرانى وادى « بكة » فأبدل لفظ « بكا » بلفظ «بكة» وهى «مكة » فى نص القرآن الكريم ٠

قال تعالى :

« ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ٠ فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا » (آل عمران : ٩٦ ـ ٩٧) ٠

وقال جل شأنه :

« وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم » ٠

« حلقة حلاوة ، وكله مشتهيات ٠ هذا حبيبى » (نشيد الانشاد ٥ : ١٦) « هذه ترجمة البروتستانت ، وترجمة اليسوعيين : حلقة أعذب ما يكون ، بل هو بجملته ، هذا حبيبى » ٠

ولفظ مشتهيات فى الاصل العبرانى « محمـــديم » والقواميس العبرانية تقول : ان هذه اللفظة لا تفيـــد مشتهيات ، ولكن تفيد أنه محمود ٠

ونقول ان هذه صريحة فى النبى صلى الله عليه وسلم، وقوله قبلها « حلقة حلاوة » كناية عن فصاحة كـلامه ، ولم يأت نبى بكلام أعلى مما جاء به نبى الاسلام ، وقوله بعدها « هذا حبيبى » نص فى لقب النبى صلى الله عليـه وسلم ، فانه حبيب الرحمن جل جلاله ٠

وجاء فى الفصل الثانى من النشيد : « اسمعينى صوتك ، لأن صوتك لطيف ، ووجهك جميل ، وفى الاصل العبرانى « عرب » بدل «جميل» أى عربى ٠

وفى الفصل الثانى من نبوة «حجى» أو «حجاى» أو «حكاى» (كما فى الاصل العبرى : ٧) « وأزلزل كل الأمم ويأتى مشتهى كل الأمم فاملأ هـذا البيت مجدا قال رب الجنود » ٠

وكلمة (مشتهى) هذه أصلها العبرانى (حمدات) ومعناها محمود ، وهى من الفعل العبرانى (حمد) ٠

« ان كنتم تحبونى فاحفظوا
وصاياى ، وأنا أطلب من الأب
فيعطيكم معزيا يمكث معكم الى
الأبد » .

« يوحنا ١٤ : ١٥ ـ ١٧ »

«ان لى أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم،ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن ، وأما متى جاء روح الحق،فهو يرشدكم الى الحق ، لأنه لا يتكلم من نفسه ، بل كل ما يســمع ، يتكلم به، ويخبركم بأمور آتية » (يوحنا ١٦:١٢ــ١٣)٠

ومحمد صلى الله عليه وسلم هو الذى كان يتكلم بمـــا يسمع من وحى الله تعالى اليه٠قال تعالى : « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى » ٠

ومملكة محمد عليه الصلاة والسلام هى مملكة الله فى الارض المسماة فى العهد الجديد بملكوت الله ، وبملكوت السموات ، وكان السيد المسيح وتلاميذه يبشرون الناس بمجيئها ، وأمر عليه السلام أن يطلبوا اتيانها من الله تعالى فى صلواتهم ٠

وهذه المملكة هى التى بدأت صغيرة ثم نمت وكبرت حتى ملأت العالم ٠ ولذلك شبهها عليه الســلام بالزرع الجيد وبالخميرة وبحبة الخردل ، التى تصير أكبر البقول حتى ان طيور السماء تأتى وتتآوى فى أحضانها ٠

(وفى طبعة الجزويت : تستظل فى أغصانها ، متى ١٣ : ٢٤ ــ ٣٥) وهى منطبقة على ما فى القرآن الكريم فى محمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه : « ومثلهـــم فى

الانجيل كزرع أخرج شطاه فآزره ، فاستغلظ فاستوى على سوقه » (الفتح : ٢٩) ٠

شـطأه : أى فراخه ٠

يقال : أشطأ الزرع ، اذا فرخ ، فآزره من المؤازرة ، وهى المعاونة ، أى فشد أزره وقواه ، فاستوى على سوقه ، فاستقام على قصبه ، جمع ساق ٠

وهذا مثل ضربه الله تعالى لبدء أمر الاسلام ، والنبى صلى الله عليه وسلم ، قام وحده ثم قواه الله جل شأنه بمن آمن به معه ، كما يقوى الطاقة الاولى من الزرع مايحتف به مما يتولد منها حتى يعجب الزراع ٠

« اسمعوا مثلا آخر ٠ كان انسان رب بيت غرس كرما وأحاطه بسياج وحفر فيه معصرة وبنى برجا وسلمه الى كرامين وسافر ٠ ولما قرب وقت الاثمار أرسل عبيده الى الكرامين ليأخذ أثماره ٠ فأخذ الكرامون عبيده وجلدوا بعضا وقتلوا بعضا ورجموا بعضا ٠ ثم أرسل أيضا عبيدا آخرين أكثر من الاولين ٠ ففعلوا بهم كذلك ٠ فأخيرا أرسل اليهم ابنه قائلا : يهابون ابنى ٠ وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم هذا هو الوارث ٠ هلموا نقتله ونأخذ ميراثه ٠ فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين ٠ قالوا له أولئك الأردياء يهلكهم هلاكا رديا

ويسلم الكرم الى كرامين آخرين يعطونه الأثمار فى أوقاتها ٠

قال لهم يسوع : أما قرأتم فى الكتب ٠ الحجر الذى رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية ، من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا ، لذلك أقول لكم ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره ، ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه ٠ ولما سمع الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم ، واذ كانوا يريدون أن يمسكوه خافوا من الجموع لأنه كان عندهم نبى ، «متى ٢١ : ٣٣ ــ ٤٦» ٠

لخص السيد المسيح فى هذا المثل تاريخ الأنبياء والرسل أجمعين ٠ فالكرم هو الدنيا والكرامون العاملون فيه هم الجنس البشرى الكادح فى دنياه ، والثمرات التى يريد صاحب الكرم أن يحصلها هى ثمرات الخير والفضيلة والتقوى ٠ والخدم الموفدون من صاحب الكرم الى الكرامين هم الرسل والأنبياء ، ولما جاءهم السيد المسيح بعد اعراضهم عن الرسل والأنبياء، غدروا به وأنكروه، وقد عوقبوا بتسليم الكرم الى كرامين أخرين ونزع ملكوت الله منهم لتعطاه الامة الاخرى الموعودة بالبركة مع أمة اسحاق وهى أمة اسماعيل ونبيها العظيم محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى يصدق عليه وعلى قومه أنهم

كانوا الحجر المرفوض فأصبح هذا الحجر زاوية البنــاء من سقط عليه رضه ومن أصيب به فهو كذلك مرفوض ٠

قال الرسول صلى الله عليه وسلم :

ــ « مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بنيانا ، فأحسنه وأجمله ، الا موضع لبنة فى زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبهم البنــاء فيقولون : ألا وضعت ها هنا لبنة فيتم البناء ، قال عليه الصلاة والسلام: فأنا اللبنة ، جئت فختمت الأنبياء » ٠

« ان كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى ، وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث الى الابد ، « يوحنــا ١٤ : ١٥ ١٧ » ٠

« يمكث معكم الى الابد » دينا ولاشك لأن الانســان لا يخلد ، ولم يبق الى الأبــد الا دين الاســلام ٠ والمعزى « هو البار قليط » ولفظ «بار قليط» فى اللغة السريانية واليونانية بمعنى محمود ، وفى القاموس العبرى بمعنى « الحمد » المصدر وهو لا يفيد المعنى الا اذا كان بمعنى الفاعل أو المفعول ولذا يشتق منه أحمد ومحمد ومحمود ٠

فما ورد فى انجيل يوحنا ٢٦ هكذا نصه :

« وأما محمود الذى سيرسله الله باسمه فهو يعلمكم كل شىء ويذكركم بكل ما قلته لكم » والنص كما يلى :

« وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الأب باسمى فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم » .

« ولكنى أقول لكم الحق ، انه خير لكم أن أنطلق ، لأنه ان لم أنطلق لا يأتكم المعزى ، ولكن ان ذهبت أرسله لكم » .

هذه كلمات واضحة لا تحتاج الى تفسير أو تعليق !

ويقول الانجيل ان يوحنا كان ممتلئا بالروح القدس من قبل ولادته ، كذلك يسوع المسيح قد تلقى الروح القدس على شكل حمامة : يتضح أن الروح القدس قد اعتاد أن يزور الناس قبل ميلاد السيد المسيح وبعده ، فالى من اذا كانت الاشارة « ان لم أنطلق لا يأتكم المعزى » لا شك أنه ليس الروح القدس المقصود بها ، لأنه يكاد يكون تجريحا للدين أن يظن أن عيسى عليه السلام كان بدون الروح القدس ، بل ان الاحترام اللائق ليوجب الاعتراف حتى بتلامذته الأبرار ، وأنهم كانوا من الطهر بما يؤهلهم للجلوس بين يديه . والقرآن الكريم ــ يعرف لصحابة النبى صلى الله عليه وسلم مكانتهم فيقول : « وأيدهم بروح منه » وكلمتا الروح القدس اللتان استعملتا فى البشارة لم تجيئا على سبيل الحشو ، أو من باب الاقحام، بل كان المقصود بهما أن النبى المنتظر يكون على اتصال بالروح القدس ، حتى يظن أن ظهوره ــ مجازا بطبيعة الحال ــ هو ظهور للروح القدس نفسه .

هناك كلمات أخرى فى الروح القدس ، لا تنطبق الا على النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن الخصـــائص البارزة فى البشارة قـد تحققت جميعها الواحدة بعـد الأخرى · « ليمكث معكم الى الابد » أى أنه لـن يكون نبى من بعد النبى المرتقب ، وهو مايقوله القرآن الكريم عن النبى « خاتم النبيين » وتقول البشارة : « فهـــو يعلمكم كل شىء » ·

ويقول القرآن الكريم كذلك عن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم : « اليوم أكملت لكم دينكم » ·

وقد سميت النبوة المنتظرة بروح الحـق ، وهـــو مايصادق عليه القرآن :

ـ « وقل جاء الحق وزهق الباطل ، ان الباطل كان زهوقا »

(·· ثم رأيت السماء مفتوحة واذا فـرس أبيض والجالس عليه يدعى أمينا وصادقا وبالعدل يحكم ويحارب وعيناه كلهيب نار وعلى رأسه تيجان كثيرة وله اسـم مكتوب ليس أحد يعرفه الا هو) « رؤيا يوحنـا ١٩ : ١١ـ ١٣ » ·

عرف محمد صلى الله عليه وسلم بالأمانة والصـــدق قبل المبعث مع صديقه وعـدوه على السواء حتى سموه الأمـين ·

وقوله بالعدل يحكم يقول القرآن الكريم :

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » النحل : ٩٠ ٠

« ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » البقرة ١٩٠٠
« ان الله يامركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ، ان الله كان سميعا بصيرا » النساء ٥٨ ٠

« ومن فمه يخرج سيف ماض لكي يضرب به الأمم وهو سيرعاهم بعصا من حديد وهو يدوس معصرة خمر ، سخط وغضب الله القادر على كل شيء » (رؤيا يوحنا ١٩ : ١٥ ـ ١٦) ٠

« ومن فمه يخرج سيف ماض » أى القرآن حجة قاطعة وبرهان ساطع على كل منكر وجاحد للدين ٠

« يضرب به الأمم » اشارة الى ما ورد فى القرآن الكريم :

« هو الذى أرسل رسوله (محمد صلى الله عليه وسلم) بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » (التوبة ٣٣) ٠

وهو « يدوس معصر خمر » حينما أنزل الله تعالى الوحى على محمد صلى الله عليه وسلم بقوله :

يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون • انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون » المائدة : ٩٠ ــ ٩١ أمر الرسول الأعظم باراقة الخمور في الاسواق وحد كل من يشرب الخمر •

« أنا دعوة ابراهيم ٠ وبشرى عيسى بن مريم ٠ ورأت أمي حين وضعتني خرج منها نور أضاء له قصور الشام » ٠

« حديث شريف »

قالت حليمة السعدية مرضعة النبى صلى الله عليه وسلم :

خرجت من بنى سعد أنا وزوجى وابنى عبد الله قاصدة مكة ، على اتان لى قمراء (١) معنا شارف (٢) لنا والله ما تبض بقطرة ، أى لا يبرق عليها أثر لبن ، وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذى معنا من بكائه من الجوع، مافى ثديى ما يغنيه ، ولكنا كنا نرجو الغيث والفرج . ورحنا نلتمس الرضعاء . وعرض الرسول الكريم على المرضعات فأبين اذ قيل لهن : انه يتيم ، وذلك أننا انما كنا نرجو المعروف من أبى الصبى ، فكنا نقول : يتيم !! وما عسى أن تصنع أمه وجده ؟ فكنا نكرهه لذلك ، فما بقيت امرأة قدمت معى الا أخذت رضيعا غيرى ، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبى :

ـ والله انى لأكره أن أرجع من بين صواحبى ولم آخذ رضيعا ، والله لأذهبن الى ذلك اليتيم فلآخذنه .

قال : لا عليك أن تفعلى ، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة .

(١) اتان قمراء : حمار . والقمرة لون الى الخضرة .
(٢) الشارف : الناقة المسنة .

فذهبت اليه فأخذته . ورجعت به الى رحلها ، فلما وضعته فى حجرها أقبل عليه ثدياها بما شاء من لبن ، فشرب حتى روى ، وشرب معه أخوه حتى روى ، ثم ناما .

قالت : يقول صاحبى حين أصبحنا : تعلمى والله يا حليمة لقد أخذت نسمة مباركة .

قالت : وانه انى لأرجو ذلك .

قالت : ثم خرجنا وركبت أتانى وحملته عليها معى ، فوالله لقطعت بالركب ، ما يقدر عليها شىء من حمرهم ، حتى أن صواحبى ليقلن لى :

يا ابنة أبى ذؤيب، ويحك ! اربعى علينا ــ أى أقيمى وانتظرى ــ أليس هذه أتانك التى كنت خرجت عليها ؟

فأقول لهن : بلى ، والله انها لهى هى .

فيقلن : والله ان لها لشأنا .

قالت : ثم قدمنا منازلنا من بلاد بنى سعد ، وما أعلم أرضا من أرض الله أجدب منها ، فكانت غنمى تروح على حين قدمنا به شباعا لبنا ، فنحلب ونشرب ، وما يحلب انسان قطرة لبن ولا يجدها فى ضرع ، حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم : ويلكم ! اسرحوا حيث يسرح راعى بنت أبى ذؤيب، فتروح أغنامهم جياعا ماتبض بقطرة لبن ، وتروح غنمى شباعا لبنا .

قالت : ولما قامت سوق عكاظ ، انطلقت برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى آتى به الى عراف من هذيل يريه الناس صبيانهم ، فلما نظر اليه ، صاح :

ـ يامعشر هذيل ، يا معشر العرب .

فاجتمع اليه الناس من أهل الموسم ، فقال :

ـ اقتلوا هذا الصبى !

اذ انسلت به حليمة، فجعل الناس يقولون : أى صبى؟ فيقول : هذا الصبى ـ ولا يرون شيئا وقد انطلقت به أمه ـ فيقال له :

ماهو ؟

قال :رأيت غلاما وآلهته ليقتلن أهل دينكم،وليكسرن آلهتكم ، وليظهرن أمره عليكم .

فطلب بعكاظ فلم يوجد ورجعت به حليمة الى منزلها، فكانت بعد لا تعرضه لعراف ولا لأحد من الناس .

أراد أبو طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم المسير الى الشام ، فقال له النبى :

ـأى عم ، الى من تخلفني هنا ، فما لى أم تكفلني ولا أحد يؤويني . فرق له أبو طالب ، وأردفه خلفه . فخرج به فنزلوا على صاحب دير .

فقال صاحب الدير : ما هذا الغلام منك ؟

قال أبو طالب : ابنى .

٥٠

قال : ما هو بابنك ، وما ينبغى أن يكون له أب حى ٠
ــ ولــم ؟
ــ لأن وجهه وجه نبى وعينيه عين نبى ٠
ــ وما النبى ؟
ــ الذى يوحى اليه من السماء ، فينبى به أهل الارض ٠
ــ الله أجل مما تقول ٠
ــ فاتق عليه اليهود ٠

ثم خرج حتى نزل براهب آخر فقال : ما هذا الغلام منـــك ؟

قال : ابنى ٠٠

قال : ما هو بابنك وما ينبغى أن يكون له أب حى ٠

ــ لأن وجهه وجه نبى وعينيه عين نبى ٠

ــ سبحان الله ! الله أجل ممــا تقول ٠ وقال : يا ابن أخى ، ألا تسمع ما يقولون ؟

ــ ولم ذلـــك ؟

قال محمد : أى عم ، لا تنكر قدرة الله ٠

خرج أبو طالب الى الشام ، وخرج معه رســـول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو ابن اثنتى عشرة سنة ، فلما نزل الركب بصرى من الشام ، وبها راهب يقال له بحيرا فى صومعة له ٠

وكان علماء النصـــارى يكونون فى تلــك الصومعة

يتوارثونها عن كتاب يدرسونه فلما نزلوا بحيرا — وكان كثيرا ما يمرون به ولا يكلمهم — حتى اذا كان ذلك العام ونزلوا منزلا قريبا من صومعته قد كانوا ينزلونه قبل ذلك كلما مروا ، فصنع لهم طعاما ثم دعاهم ؟ وانما حمله على دعائهم أنه رآهم حين طلعوا ، وغمامة تظل رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم ، حتى نزلوا تحت الشجرة ، ثم نظر الى تلك الغمامة أظلت تلك الشجرة ، وأخضلت أغصانها على النبى حين استظل تحتها ، فلما رأى بحيرا ذلك نزل من صومعته ، وأمر بذلك الطعام فأتى به ، وأرسل اليهم فقال :

— انى قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش ، وأنا أحب أن تحضروه كلكم ، ولا تخلفوا منكم صغيرا ولا كبيرا ، حرا ولا عبدا ، فان هذا شىء تكرمونى به ٠

فقال رجل :

— ان لك لشأنا يا بحيرا ، ما كنت تصنع بنا هذا فما شأنك اليوم ؟

قال :

— فانني أحببت أن أكرمكم ولكم حق ٠

فاجتمعوا اليه ، وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه — ليس فى القوم أصغر منه — فى رحالهم تحت الشجرة ، فلما نظر بحيرا الى القوم ، فلم ير الصفة التى يعرف ويجدها عنده،وجعل ينظر ولايرى

الغمامة على أحد من القـــوم ويراها متخلفـة على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم · قال بحيرا :

— يا معشر قريش ، لا يتخلفن منكم أحد عن طعامي ·

قالوا :

— ما تخلف أحـــد الا غلام هو أحدث القوم سنا في رحالهم ·

فقـــال :

— ادعوه ، فليحضر طعامي ، فما أقبـح أن تحضروا ويتخلف رجل واحد مع أني أراه من أنفسكم ·

فقال الحارث بن عبد المطلب :

— والله ان كان بنا للوم أن يتخلف ابن عبد المطلب من بيننا · ثم قام اليه فاحتضنه ، وأقبل به حتى أجلسه على الطعام والغمامة تسير على رأسه ، وجعل بحيرا يلحظـه لحظـا شديدا ، وينظر الى أشياء في جسده قـد كـان يجدها عنده من صفته ، فلما تفرقوا عن طعـامهم ، مال اليه الراهب فقال :

— يا غلام ، أسألك بحق الـلات والعزى ألا أخبرتني عما أسألك ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

— لا تسألني باللات والعزى ، فوالله ما أبغضت شيئا بغضهما ·

قال :

ــ فبالله ألا أخبرتنى عما أسألك عنه ؟

قال :

ــ سلنى عما بدا لك ٠

فجعل يسأله عن أشياء من حاله حتى نومه ، فجعل رسول الله يخبره ، فيوافق ذلك ما عنده ، ثم جعل ينظر بين عينيه ، ثم كشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضع الصفة التى عنده ٠ فقبل موضع الخاتم ٠

وقالت قريش : ان لمحمد عند هذا الراهب لقدرا ٠

وجعل أبو طالب لما يرى من الراهب يخاف على ابن أخيه ٠ فقال الراهب لأبى طالب :

ــ ما هذا الغلام منك ؟

قال أبو طالب : ابنى ٠

قال : ما هو بابنك ٠ وماينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا ٠

ــ فابن أخى ٠

ــ فما فعل أبوه ؟

ــ هلك ، وأمه حبلى به ٠

ــ فما فعلت أمه ؟

ــ توفيت قريبا ٠

ـ صدقت ، ارجع بابن أخيك الى بلده ، واحذر عليه من اليهود ، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه عنتا ، فانه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم نجـــده فى كتبنا وما روينا عن آبائنا ، واعلم أنى قد أديت اليـــك النصيحة • فلما فرغوا من تجارتهـــم خرج به سريعا • وكان رجال من يهود قد رأوا رسول الله وعرفوا صفته ، فأرادوا أن يغتالوه ، فذهبوا الى بحيرا فذاكروه أمـــره ، فنهاهم أشد النهى •

وقال :

ـ تجدون صفته ؟

قالوا : نعـــم •

قال : فما لكم اليه سبيل • فصدقوه وتركوه ، ورجع به أبوطالب ، فما خرج به سفرا بعد ذلك خوفا عليه •

وعن جفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن عبد الرحمن ابن ابزى ، قال الراهب لأبى طالب :

ـ لاتخرجن بابن أخيك الى ماههنا ، فان يهود أهـــل عداوة ، وهذا نبى هذه الأمة وهو من العرب ، ويهـــود تحسده تريد أن يكون من بنى اسرائيل •

ـ كانت بوانة صنما تحضره قريش تعظمه ، تنســك له النسائك ، ويحلقون رؤوسهم عنده ، ويعكفون عنده يوما الى الليل •

وكان أبو طالب يحضر مع قومه ، وكان يكلم رسول الله أن يحضر ذلك العيد مع قومه فيأبى الرسول ذلـك ، حتى غضب أبو طالب ، وغضبت عماته عليه أشـد الغضب ، وجعلن يقلن : انا لنخاف عليك ما تصنع من اجتناب آلهتنا ، وما تريد يا محمد من أن تحضر لقومك عيدا ولا تكثر لهم جمعا · فلم يزالوا به حتى ذهب ، فغاب منهم ما شاء الله ، ثم رجع اليهم مرعوبا فزعا ، فقلن له عماته :

ـ ما دهاك ؟

قال :

ـ انى أخشى أن يكون بى لمـم ·

فقلن :

ـ ما كان الله ليبتليك بالشيطان ، وفيك من خصـال الخير ما فيك · فما الذى رأيت ؟

قال :

ـ انى كلما دنوت من صنم منها تمثل لى رجل أبيض طويل يصيح بى : وراءك يا محمد لا تمسه ·

فما عاد الى عيد لهم حتى بعث صلى الله عليه وسلم ·

ـ ولما قدم تبع المدينة بعث الى أحبار يهود فقال :

ـ انى مخرب هذا البلد حتى لا تقوم به يهـودية ، ويرجع الأمر الى دين العرب ·

فقال له « سامول » اليهودى ــ وهو يومئذ أعلمهم ــ :

ــ **أيها الملك ، ان هذا يكون اليه مهـــاجر نبى من** بنى اسماعيل ، مولده مكة ، اسمه أحمد . وهــذه دار هجرته ، ان منزلك هذا الذى أنت به يكون به من القتلى والجراح أمر كثير فى أصحابه وفى عدوهم .

قال تبع : ومن يقاتله يومئذ وهو نبى كما تزعمون ؟

قال : يسير اليه قومه فيقتتلون ههنا .

ــ فأين قبره ؟

ــ بهذا البلد .

ــ فاذا قوتل لمن يكون الدبرة ؟

ــ تكون عليه مرة وله مرة ، وبهذا المكان الذى أنت به تكون عليه ويقتل به أصحابه مقتلة لم يقتــــلوا فى موطن ، ثم تكون العاقبة له ويظهر فلا ينازعه هذا الأمر أحـــــد .

قال : وما صفته ؟

قال : رجل ليس بالقصير ولا بالطويل ، فى عينيـــه حمرة ، يركب البعير ويلبس الشملة ، سيفه على عاتقــه لايبالى من لاقى ، أخا أو ابن عم أو عمـــــا ، حتى يظهر أمـــــره .

قال تبع : ما الى هذا البلد من سبيل ، وما كان ليكون خرابها على يدى ·

وخرج تبع منصرفا الى اليمن ·

ـ قدم الى يثرب أبو عمير بن الهيبان ـ يهودى من يهود الشام ـ قبيل المبعث بسنوات، وكان يصلى الصلوات الخمس ، وكان اذا حبس المطر جاء اليه الناس يقولون :

ـ يا ابن الهيبان اخرج فاستسق لنا ·

فيقول :

ـ لا حتى تقدموا أمام مخرجكم صدقة ·

فيقولون :

ـ وما نقدم ؟

فيقول :

ـ صاعا من تمر أو مدين من شعير عن كل نفس ·

فيفعلون ذلك · فيخرج بهم الى ظهر الوادى ، ويضرعون الى الله تعالى فتمطر السماء ·

فلما حضرته الوفاة قال :

ـ يامعشر يهود ، ما الذى ترون أنه أخرجنى من أرض الخمر والخمير الى أرض البؤس والجوع ؟

قــالوا :

ـ أنت أعلم يا أبا عمير ٠

قال :

ـ انما قدمتها أتوكف خروج نبى قد أظلكم زمانه ، هذا البلد مهاجره ، وكنت أرجو أن أدركه فأتبعه ، فان سمعتم به فلا تسبقن اليه ، فانه يسفك الدماء ، ويسبى الذرارى والنساء ، فلا يمنعنكم هذا منه ،. ثم مات ٠ فلما كان في الليلة التى فى صبيحتها فتحت بنو قريظة ، قال لهم ثعلبة وأسيد ابنا سعية وأسد بن عبيد (فتيان شباب) :

ـ يا معشر يهود ، والله انه الرجل الذى وصف لنا أبو عمير بن الهيبان ، فاتقوا الله واتبعوه ٠

قالوا :

ـ ليس به ٠

قال :

ـ بلى والله انه لهو هو ٠

فنزلوا وأسـلموا ٠

ـ عن عامر بن ربيعة قال : سمعت زيد بن عمــرو ابن فضيل يقــول :

أنا أنتظر نبيـــا من ولد اســـماعيل ثم من بنى عبد المطلب ، ولا أرانى أدركه ، وأنا أؤمن به واصدقه، وأشهد أنه نبى ، فان طالت بك مدة فرأيته فاقرئه منى السلام ، وسأخبرك ما قصته حتى لا يخفى عليك ٠

قلت :

ــ هلم ٠

قال :

ــ هو رجل ليس بالطويل ولا بالقصير ، ولا بكثير الشعر ولا بقليله ، وليست تفارق عينيه حمرة ، وخاتم النبوة بين كتفيه ، واسمه أحمد ، وهذا البلد مولده ومبعثه ، ثم يخرجه قومه ، ويكرهون ما جاء به حتى يهاجر الى يثرب فيظهر أمره ، فاياك أن تخدع عنه ، فانى طفت البلاد كلها أطلب دين ابراهيم ، فكل من أسأل من اليهود والنصارى والمجوس يقولون : هــذا الدين وراءك ، وينعتونه بمثل ماقصصته لك ، ويقولون لم يبق نبى غيره ٠

قال عامر بن ربيعة :

ــ فلما أسلمت أخبرت رسول الله قول زيد بن عمرو ، وأقرأته منه السلام ، فرد عليه السلام ، ورحم عليه ، وقال : قد رأيته فى الجنة يسحب ذيولا ٠

ـ قال كعب بن أسد لبنى قريظة ، حين نزل النبى صلى الله عليه وسلم فى حصنهم :

ـ يامعشر يهود ، تابعوا هـذا الرجل ، فوالله انه النبى ، وقد تبين لكم أنه نبى مرسل ، وأنه الذى كنتم تجدونه فى الكتب ، وأنه الذى بشر به عيسى ، وانكم لتعرفون صفته ٠

قالوا :

ـ هو به ، ولكن لا نفارق حكم التوراة !!

ـ بعثت قريش النضر بن الحـــارث بن علقمـــة ، وعقبة بن أبى معيط ، وغيرهما الى يهود يثرب ، وقالوا لهم : سلوهم عن محمد ٠ فقدموا المدينة ، فقالوا :

ـ أتيناكم لأمر حدث فينا ، منا غلام يتيم يقول قولا عظيما ، يزعم أنه رســول الرحمن ولا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة ٠

قالوا :

ـ صفوا لنا صفته ٠ فوصفوا لهم ٠

قالوا :

ـ سفلتنا !

فضحك حبر منهم وقال :

ـ هذا النبى الذى نجـد نعته ، ونجد قومه أشـد الناس له عـداوة ٠

ـ رأى ربيعة بن نصر ملك اليمن رؤيا هالتـه وفظـع بها ، فطلب من سطيح ربيع بن ربيعة ، وشق بن صعب تأويل رؤياه ، دون أن يخبرهما بها ٠

فقال سطيح :

ـ رأيت ، أيها الملك ، حممة ، خرجت من ظلمة ، فوقعت بأرض تهمة ، فأكلت منها كل ذات جمجمة«١» ٠

فقال له الملك :

ـ ما أخطأت منها شيئا يا سـطيح ، فما عندك فى تأويلها ؟ ٠

فقال :

ـ أحلف بما بين الحرتين من حنش ، لتهبطن أرضكم الحبش ، فليملكن ما بين أبين الى جرش ٠

فقال له الملك :

ـ وأبيك يا سطيح ان هذا لنـا لغائظ موجع فمتى فمتى هو كائن ؟ أو فى زمانى هذا أم بعده ؟

قال :

ـ لا ، بل بعده بحين ، أكثر من سـتين أو سـبعين يمضين من السنين ٠

---

(١) الحممة هى القطعة من النار ، وهى الفحمة أيضا ٠ وظلمة يعنى من جهة البحر وارض تهمة واسعة متطامنة والجمجمة : الراس ٠

— أفيدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع ؟

— لا ، بل ينقطع لبضع وسبعين من السـنين ، ثم يقتلون ويخرجون منها هاربين ٠

— ومن يلى ذلك من قتلهم واخراجهم ؟

— يليه ارم بن ذى يزن ، يخرج عليهم من عدن ، فلا يترك أحدا منهم باليمن ٠

— أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع ؟ ٠

— بل ينقطع ٠

— ومن يقطعه ؟ ٠

— نبى ذكى ، يأتيه الوحى من قبل العلى ٠

— وممن هذا النبى ؟

— رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر ، يكون الملك فى قومه الى آخر الدهر ٠

— وهل للدهر آخر ؟

— نعم ، يجمع فيه الأولون والآخرون ، يسعد فيه المحسنون ، ويشقى فيه المسيئون ٠

وقال الكاهن شق :

— بل ينقطع برسول مرسل يأتى بالحق والعـدل ، بين أهل الدين والفضل ، يكون الملك فى قومه الى يوم الفصل ٠

قال الملك :

ـ وما يوم الفصل ؟

قال :

ـ يوم تجزى فيه الولاة ، ويدعى فيه من السماء بدعوات ، يسمع منها الأحياء والاموات ويجمع فيه بين الناس للميقات ، ويكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات •

ـ لما ظهر سيف بن ذى يزن على الحبشة ، أتت اليه وفود أشراف العرب وفيهم عبد المطلب بن هاشم لتهنئته في قصره بصنعاء ، وتكلم عبد المطلب مهنئا ، ولما فرغ استضافهم مدة شهر ، ثم دعا عبد المطلب فخلى به ، وأدنى مجلسه ، وقال له :

ـ يا عبد المطلب ، انى مفض اليك من سر علمى أمرا لو يكون غيرك لم أبح به ، ولكنى رأيتك موضعه فأطلعك عليه ، فليكن عندك مطويا حتى يأذن الله فيه ، فان الله بالغ أمره ، انى أجدفى الكتاب المكنون ، والعلم المخزون ، الذى اختـــرناه لأنفسنا فاحتجبناه دون غيرنا خبرا عظيما ، وخطرا جسيما ، فيه شرف الحياة ، وفضل الوفاة • للناس عامة ، ولرهطك خاصة •

فقال عبد المطلب :

ـ مثلك أيها الملك سروبر ، فما هو فداك أهل الوبر زمرا بعد زمر •

فقال سيف :

ـ اذا ولد غلام بتهامة ، بين كتفيه شامة ، كانت له الامامة ، ولكم به الزعامة الى يوم القيامة ٠

فقال عبد المطلب :

ـ أيها الملك لقد أبت بخير مآب بمثله وافد ، ولولا هيبة الملك واكرامه واعظامه فسألته أن يزيدني فى البشارة ، لازداد به سرورا ٠

قال الملك :

ـ هذا حينه الذى يولد فيه ، أو قد ولد اسمه محمد ، يموت أبوه وأمه ، ويكفله جده وعمه وقد ولدناه مرارا ، والله باعثه جهارا ، وجاعل له منا أنصارا ، يعز بهم أولياءه ، ويترك بهم أعداءه ، يضرب بهم الناس عن عرض ، ويستبيح كرائم الأرض ، يخمد النيران ، ويكسر الأوثان ، ويعبد الرحمن ، قوله فصل ، وحكمه عدل ، يأمر بالمعروف ويفعله ، وينهى عن المنكر ويبطله ٠

قال عبد المطلب :

ـ أيها الملك ، عز جدك ، وعلا كعبك ، ودام ملكك ، وطال عمرك ، فهل الملك المخبرى بافصاح ، فقد أوضح لى بعض الايضاح ؟

فقال سيف بن ذى يزن :

ــ والبيت ذى الحجب ، والعلامات على النصب ، انك يا عبد المطلب لجده غير الـكذب ، فخـــر عبد المطلب ساجدا ٠

فقال : ارفع رأسك ، ثلج صدرك ، وعلا أمرك ، فهل أحسست شيئا مما ذكرت لك ؟

قال عبد المطلب :

ــ كان لى ابن وكنت به معجبا وعليه رفيقا ، زوجته كريمة من كرائم قومى اسمها آمنة بنت وهب ، فجاءت بغلام ســميته محمدا ، مات أبوه وامه ، وكفلته أنا وعمــه ٠

فقال ســيف :

ــ الأمر ما قلت لك ، فأحتفظ بابنك واحذر عليه من اليهود ، فانهم له أعداء ، ولن يجعل الله لهم اليه سبيلا ، واطو ما ذكرت لك عن هؤلاء الرهط الذين معك فانى لست آمن أن تدخلهم النفاسة من أن تكون له الرياسة ، فينصبون له الحبـــائل ، ويطلبون له القوائل ، وهــم فاعلون ، وبطيئا ما يجيبه قومه ، وسيلقى منهم عنتا ، والله مفلج حجته ، ومظهر دعوته ، وناصر شيعته ، ولولا أنى أعلم أن الموت مجتاحى قبل مبعثه لسرت بخيـلى ، ورجلى حتى أصير يثرب دار ملكي ، واني أجد فى الكتاب

المكنون أن بيثرب استحكام أمره ، وأهل نصرته ، وموضع قبره ، ولولا أني أتوق عليه الآفات ، وأحذر عليه العاهات ، لأعلنت أمره على حداثة سنه ، ولكنني صارف ذلك اليك عن غير تقصير مني بمن معك .

وقال : يا عبد المطلب ، اذا حال الحول فاتني .

فمات سيف بن ذي يزن قبل أن يحول عليه الحول .

وكان عبد المطلب كثيرا ما يقول :

— يا معشر قريش ، لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك وان كثر ، فانه الى نفاد ، ولكن ليغبطني بما يبقى لي شرفه الى يوم القيامة . فاذا قيل له : وماذاك ؟

قال : ستعلمون ما أقول ولو بعد حين

قال سلمان الفارسي رضي الله عنه :

كنت رجلا من أهل أصبهان ، وكان أبي دهقان أرضه ، وكنت من أحب عباد الله اليه ، فمازال في حبه اياي حتى حبسني في البيت كما تحبس الجارية . فاجتهدت في المجوسية حتى كنت قاطن النار التي نوقدها لا نتركها تخبو . وكانت لأبي ضيعة في بعض عمله ، وكان يعالج بنيانا له في داره فدعاني .

فقال :

— أي بني انه قد شغلني بنياني كما ترى فانطلق الى ضيعتي فلا تحبس علي فانك ان فعلت شغلتني من كل

ضيعة ، وكنت أهم عندى مما أنا فيه ، فخرجت فمررت بكنيسة للنصارى ، فسمعت صلاتهم فيها ، فدخلت عليهم أنظر مايصنعون فلم أزل عندهم،وأعجبنى مارأيت من صلاتهم وقلت في نفسى :

ــ هذا خير من ديننا الذى نحن عليه ·

فما برحتهم حتى غابت الشمس ، وما ذهبت الى ضيعة أبى ولا رجعت اليه حتى بعث الطلب فى أثرى ، وقد قلت للنصارى حين أعجبنى ما رأيت من أمرهم وصلاتهم : أين أصل هذا الدين ؟ ·

قالوا : بالشام ·

فخرجت ورجعت الى أبى ، فقال :

ــ أى بنى أين كنت ؟ قد كنت عهدت اليك وتقدمت ألا تحتبس ·

قلت :

ــ انى مررت على ناس يصلون فى كنيسة لهم فأعجبنى ما رأيت من أمرهم وصلاتهم ورأيت أن دينهم خير من ديننا ·

فقال أبى :

ــ أى بنى دينك ودين آبائك خير من دينهم ·

قلت :

ـ كلا والله ٠

فحبسني أبي ، فأرسلت الى النصارى أخبرهم أني قد رضيت أمرهم ، وقلت :

ـ اذا قدم عليكم ركب من الشام فآذنوني ٠

تقدم عليهم ركب منهم من التجار فأرسـلوا الى ، فخرجت اليهم وانطلقت معهم الى الشام ٠ فلما قدمت سألت عن عالمهم فقيل لى :

ـ صاحب الكنيسة أسقفهم ٠

فذهبت اليه وقلت له :

ـ انى أحب أن أكون معـك أخدمك وأصـلى معك وأتعلم منك ، فاني قد رغبت في دينك ٠

قال :

ـ أقم ٠

وأقمت معه ، وكان رجل سوء فى دينه ، كان يأمرهم بالصـدقة ويرغبهم فيها ، فاذا جمعوا اليه الأمـوال اكتنزها لنفسه حتى جمع سبع تلال دنانير ودراهم ، ثم مات فاجتمعوا ليدفنوه ٠

فقلت لهم :

ـ تعلمون أن صـاحبكم هذا كان رجل سـوء ،

وأخبرتهم ما كان يصنع فى صدقتهم • وجاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه ، فما رأيت رجلا لايصلى الخمس كان خيرا منه ، أعظم رغبة فى الآخرة ولا أزهد فى الدنيا ولا أواب ليلا ولا نهارا منه • وأحببته حبا ما علمت أنى أحببت شيئا كان قبله •

فلما حضره قدره قلت له : انه قد حضرك من أمر الله ما ترى ، فماذا تأمرنى والى من توصى بى ؟ •

قال :

ـ أى بنى ما أرى أحدا من الناس على مثل ما أنا عليه الا رجلا بالموصل ، فأما الناس فقد بدلوا وهلكوا •

فلما توفى ، أتيت صاحب الموصل ، فأقمت عنده ما شاء الله لى أن أقيم ، ثم رحلت الى نصيبين ، ومنها الى عمورية من أرض الروم • وقلت لصاحبى وأنا أحاوره؟

ـ الى من توصى بى ؟

فقال لى :

ـ أى بني ، والله ما أعلم أنه أصبح فى الأرض أحد على مثل ما كنا عليه آمرك أن تأتيه ، ولكنه قد أظلك زمان نبى يبعث بدين ابراهيم الحنيفية ، يخرج من أرض مهاجره ، وقراره ذات نخل بين حرتين ، فان استطعت أن تخلص اليه فاخلص • وان به آيات

لا يخفى ، انه لا يأكل الصدقة وهو يأكل الهدية ، وان بين كتفيه خاتم النبوة اذا رأيته عرفته ٠

ومررت بـركب من كلب فسـالتهم عن بـلادهم فاخبرونى عنها ، فقلت لهم :

ــ أعطيكم بقراتى هذه وغنمى على أن تحملونى حتى تقدموا بى أرضكم ٠

قالوا :

ــ نعم ٠

فاحتملونى حتى قدموا بى وادى القرى ، فظلمونى وباعونى عبدا لرجل من يهـود ٠ ورأيت بها النخـل وطمعت أن تكون البلدة التى وصفت لى ، وابتاعنى رجل من يهود بنى قريظة ، وخرج بى حتى قدم المدينة ٠

فوالله ما هو الا أن رأيتها فعرفتها بصفة صـاحبى وأيقنت أنها هى البلدة التى وصفت لى ٠ فأقمت عنده أعمل له فى نخله فى بنى قريظة ، حتى بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، وخفى على أمره حتى قدم المدينة ونزل بقباء فى بنى عمرو بن عـوف ، فوالله انى لفى رأس نخلة وصاحبى جالس تحتى اذ أقبل رجل من يهود من بنى عمه حتى وقف عليه فقال :

ــ أى فلان ، قاتل الله بنى قيلة، انهم آنفا ليتخاصمون على رجل بقباء قدم من مكة يزعمون أنه نبى ٠

فوالله ان هو الا أن قالها فأخذتنى العرواء فرجفت النخلة ، حتى ظننت لأسـقطن على صاحبى ، ثم نزلت سريعا أقول :

ـ ماذا تقول ؟ ما هذا الخبر ؟ •

فرفع سيدى يده فلكمنى لكمة شديدة ،

ثم قال :

ـ مالك ولهذا ؟ أقبل على عملك •

قلت :

ـ لا شيء انما أردت أن أسـتثبته هذا الخبر الذى سمعته يذكر •

قال :

ـ أقبل على شأنك •

فأقبلت على عملى ، فلما أمسيت جمعت ما كان عندى ، وخرجت حتى جئت الى رسـول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء فدخلت عليه ، ومعه نفر من أصحابه •

فقلت :

ـ انه بلغنى أنك ليس بيدك شيء وأن معك أصحابا لك ، وأنكم أهل حـاجة وغربة ، وقد كان عندى شيء وضـعته للصـدقة ، فلما ذكر لى مكانكم رأيتكم أحق الناس به فجئتكم به ، ثم وضعته له •

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ـ كلوا ، وأمسك هو ·

قلت فى نفسى : هذه والله واحــدة ·

ورجعت ، وتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، وجمعت شـيئا ثم جئت ، فسلمت على رسـول الهدى وقلت :

ـ انى قد رأيتك لا تأكل الصدقة · وقد كان عندى شىء أحب أن أكرمك به من هدية أهـديتها كرامة لك ليست بصـدقة ·

فأكل وأكل أصـحابه ·

فقلت فى نفسى : هذه أخرى ·

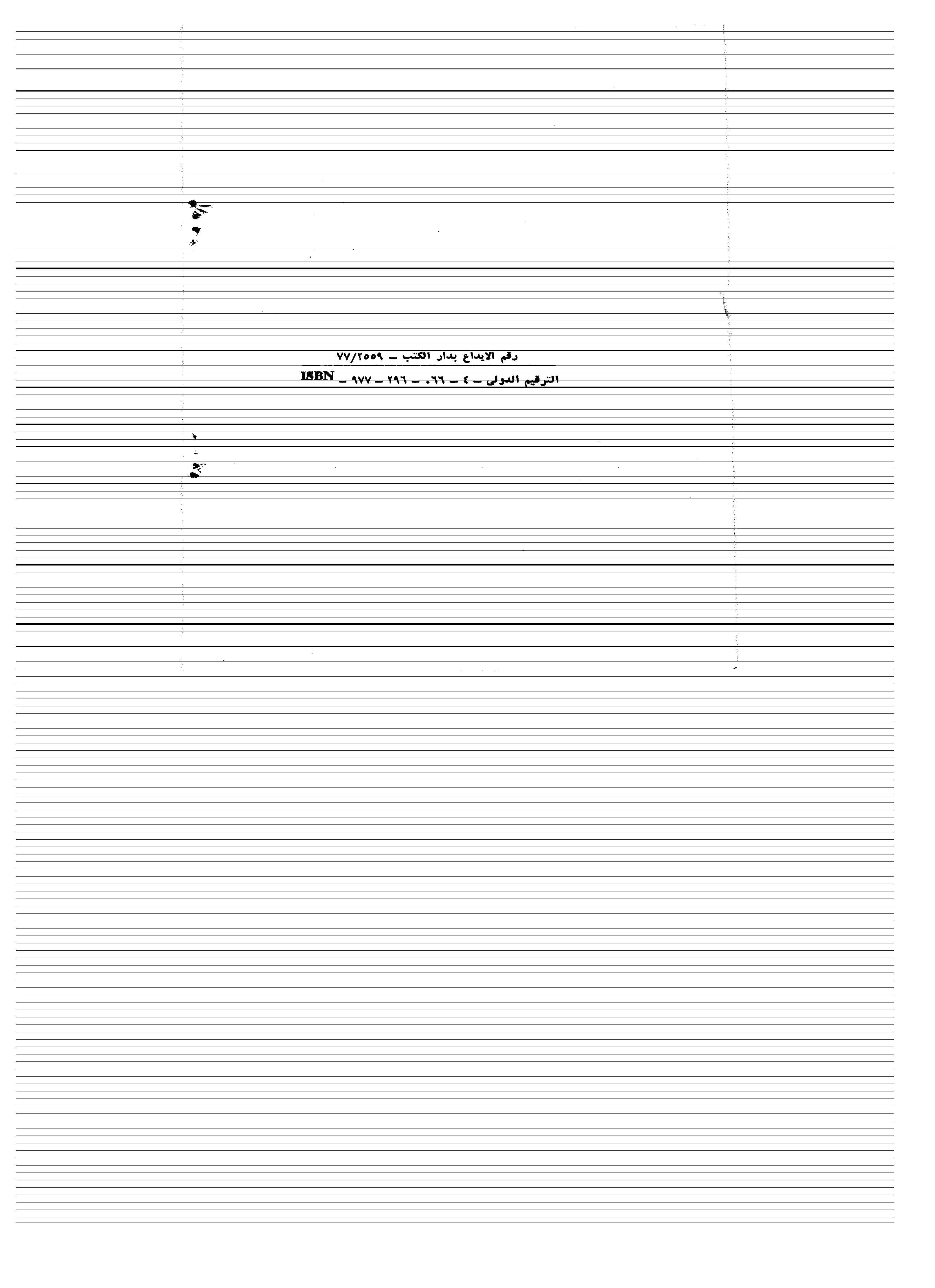
وجئت الى الرســول الكريم فوجدته فى بقيع الغرقة قد تبع جنــازة وحوله أصـحابه ، وعليه شملتان مؤتزرا بواحدة مرتديا الأخرى · فسلمت عليه ، ثم عدلت لأنظر فى ظهره ، فعرف أنى أريد ذلك وأستثبته ، فقــال بردائة فالقاه عن ظهره ، فنظرت الى خاتم النبوة كما وصف لى صــاحبى · فأكببت عليه أقبل الخاتم من ظهره وأبكى ·

وأسلم سلمان ·· فقد وجـد الحق المبين الذى كان يبحث عنه ·

المراجع

- القرآن الكريم
- الكتاب المقدس .
- محمد رسول الله والذين معه . عبد الحميد جودة السحار
- مطلع النور عباس محمود العقاد
- الطبقات الكبرى محمد بن سعد
- سيرة ابن هشام
- الاسلام، ظهوره وانتشاره في العالم حامد عبد القادر

فهرس الكتاب



رقم الايداع بدار الكتب ـ ٢٠٥٩/٧٧

الترقيم الدولى ـ ٤ ـ ٠٦٦ ـ ٢٩٦ ـ ٩٧٧ ـ ISBN